صفحات من الذاكرة

أجرى الحوار: جاسم عباس

مشاري التورة ابن الـ٨٢ عاما:

لا أتذكر عند من درست ولا أعرف الملا والمطوع

■ توفي والدي في البحر عام ١٩٤٠ ولم يجدوا له أثراً ■ في البحر نقلت الماء من الفاو إلى نقعة غنيم وفي البر نقلت الصخر من العشيرج للديرة

،، الرعيل الأول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاسوا مر الاثنتين وذاقوا حلاوتيهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنهم وظروفهم، الا ان قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي، «القبس» شاركت عددا من هولاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستكانة.

* * *

في مستهل لقائنا مع مشاري سعود عبدالعزيز التورة قال: ولدت عام ١٩٢٥م في فريج سعود بالحي القبلي من الكويت وقد جاء الاسم نسبة الى الشيخ سعود بن جابر الصباح، وبالقرب من فريجنا نقعة للسفن، وفيه مسجد بنفس الاسم هدم عام ١٩٦٣، ولا ادري باي الاسماء سمي هذا الحي.

اضاف: جدي النوخذة عبدالعزيز التورة اما والدي فقد غرق في البحر عندما طبعت سفينتهم في «غبة» لم يشاهد البحارة اثرا لهم، لان البحر كان عميقا في وسط المحيط الهندي عام ١٩٤٠ مع النوخذة عبدالله الشطي وسبعة من البحارة، ابن هاشم وعياله.

● مشاري سعود عبدالعزيز التورة

■ أيامنا كانت متعبة.. إرهاق وأمراض وعلل وعمل ١٤ ساعة يومياً

■ عملت بنانى بـ ٨ آنات في اليوم

■ نوخذة هي «ناو خدا» لفظة هندية فارسية تعني «الإله الجديد»

ناو خدا

قال ابو سعود: لا اتذكر عند من درست ولا اعرف الملا والمطوع، وكل ما اعرفه اني قضيت ٢٠ سنة في بوم المرزوق، وحمد الصقر، تعرف يا جاسم معنى «ناو خدا» انها كلمة هندية وفارسية تعني الإله الجديد، اله السفينة اورب السفينة جمعت الحروف والكلمات اصبحت «نواخذة» خدا New.

وقال: راحت الايام وانا الان في سوق الخضرة مع حجي مبارك بائع البيوت واصدقائي، كنت صاحب منزلة في البوم، وعالما في البحر، النواخذة هم اعمدة الكويت، هم جلبوا الخيرات من المحيطات والبحار، والان انتم تعيشون في الرخاء والرفاهية، قدمنا اولادنا واخواننا واهالينا لاجل الكويت، اين بهمن واخوانه؟ اين عبدالوهاب وسالم وحمد التورة؟

وبعد غرق والدي اصدرت الحكومة قانون البحرية الذي عرف بقانون البحر والسفر وحل المشاكل والحقوق، ولا عرفت الراحة من بعد النوخذة في السفر انتقلت الى نقل الصخر من العشيرج الى الديرة مع اولاد كلمد وبوشعبون وعباس بوتقي وابن القطامي، وطلب ابو سعود ان ابحث عن بعض ابيات من شعر الشاعر محمد الفايز ،اكتبها في هذا اللقاء:

علقت كل شموعي في منازلكم
وفي دروبكم وزعت اقماري
وكلما عصفت ريح بساحتكم
أويتكم بضلوعي وهي كالنار
حتى مضى جل أيامي وما كشفت
استارليلكم الكهفي انواي
فكم تحطم نجم فوق صخرتكم
وكم رميتم قناديلي بأحجار
انا المشع إذا الكل قد هتفوا
انا القوي بإيماني وإصراري
لكني لم أهب للريح أشرعتي
ما دامت الريح تجري ضد تياري
ولم أمد يدي للرافضين على
حرف الحياة ولم أعبأ بثرثار

دركار.. والبناني

وتحدث التورة عن بعض المواقع التي يؤخذ منها الرمل او الطين او الصلبوخ تسمى الدراكيل (جمع الدركال).

وقال: انا عملت مع الغانم في نقل الرمل من دركال الشويخ وعلى السواحل، وافضل انه الرمل القريب من البحر الذي استعمل بعد ان عرف اهل الكويت «الصاروي» الاسمنت، وكذلك عملت في نقل الصلبوخ ويسمى (كونكريت) وحصو صغير، كنا نجمعه في بر الكويت ونبيعه بالكيل ذلك المكيال الذي نقيس ونوزن به الحبوب، وهذه الحصي احيانا كنا نحفر طبقات الارض عندما يقل الصلبوخ، وعملت في الطين التربي لصناعة اللبن، وكذلك بالطين الصلبي الذي استخدم فوق السطوح، ويوجد بكثرة في الدعية، وكلما اتجهنا نحو الجنوب حصلنا على الافضل.

وتذكر ابو سعود التورة عمله كبناني او عامل بناء البيوت فقال: استخرج الماء من البئر واخلطه مع الطين اقدمه للاستاذ (معلم البناء) الذي يعتبر المهندس والمنفذ، كنت اعمل بعد صلاة الفجر حتى اذان المغرب، وراحتنا الساعة التاسعة يقدم لنا الخبز والتمر واللبن، واجرتنا كانت ما بين نصف روبية ٨ آنات الى ١٢ آنة، وكلما زاد نشاط البناني وصلت اجرته الى روبية أو روبيتين، ومن ادواتنا الصخين والهيب والجدوم والقلم الحديدي للتكسير، والزبيل، والسطل، والطاسة المعدنية، والسلم الخشبي والخيشة لوضع الجبس، ومن بيننا «الخباص» الذي يخبص الجبس مع الماء لتبييض الحائط بعد طبخه منه فوق الطين على اسطح الغرف بهدف امتصاص مياه الامطار ومنعها من التسرب.

وقد اشتهر عدد من الكويتيين في البناء او الاساتذة في السرعة والدقة والكفاءة منهم: عائلات الرباح والبحوة والعبدالسلام والفرحان، والبناي والاسطى والمقهوي، كل واحد منهم هو الخبير في الصخر واللبن والطين والمساح وتركيب الابواب والشبابيك، والتخطيط الهندسي.

وقال ابو سعود: انا بنيت عدة بيوت من الصخر والطين، والعروق، والصخر العشيرجي الذي يعزل الحرارة، ويتحمل الامطار.

نقل الماء

بعد آبار الشامية والعديلية والجهراء والفنطاس، وبعد مياه الامطار وتخزينها في السدود والحفر، ومع ازدياد عدد السكان، اصبحت هذه المصادر لا تكفي بالحاجة، قام الكويتيون في تركيب عدد من الفناطيس في سفنهم (الخزانات الخشبية) توجهوا الى شط العرب وتم ملؤها بالمياه بسعر مجز، وتوسعت عملية نقل المياه وأصبحت التشاشيل والجواليت والابوام تركب من الخزانات، وكانت تغادر ظهرا وتصل عند المساء وتعود في منتصف الليل او صباحا، والمدة تعتمد على الرياح، واحيانا كانت السفينة تستغرق اسبوعا كاملا.

واضاف التورة: عملت على هذه الابوام، فقلت الماء من الفاو، وكنا ندفع الضرائب للحكومة العراقية، انا من وضع «جالي» على جانبي السفينة ليقف البحارة عليه اثناء غرف الماء، ونقلت الماء بالزيلة (القوطي)، وانا ملأت الخزان (الفنطاس) الى «سليفة»، ورسومنا كانت ٣٧٥ فلسا عراقيا يساوي ٣ - ٤ روبيات كويتية على كل سفينة، وكانت الابوام تفضل التزود بالماء من الجانب العراقي من الشط نظرا لعمقه، واما الجانب الايراني فكان الضحل هو السبب لعدم استطاعة الأبوام المرور عبره، مع وجود الطين بكثرة، بينما في الجانب العراقي كان التنظيف وتعميق الممرات على مدار الساعة.

وقال التورة: انا كنت احسب للحمارة والكنادرة عدد القرب والصفائح وكانوا ياتون بالماشوه (سفينة صغيرة)، كنت اوصلهم الى الكراني (محاسب صاحب السفينة) لدفع القيمة وصاحبها هو عمي سالم التورة، وكنا ثمانية بحارة، ونحصل على ٨ آنات على كل رحلة، وصل عدد سفن الماء حوالي ٤٠ بين بوم وجالبوت ولا انسى الازدحام على الابوام.

الرضيف

وعمل ابو سعود رضيفا مع بحارة سفينة الغوص، كان صغيرا يقوم بالاعمال الخفيفة، ويتدرب على العمل واهواله حتى يكون من الغيص او السيب، قال: عملت سنوات على خدمة البحارة كان عمري دون الرابعة عشرة مع أعمامي ابناء التورة في بوم الصقر والمرزوق، وكانوا يعطون سهما واحدا من اسهم الغوص، فأنا المساعد والمعاضد، وكل كلمة اسمعها اقول: هه والله (ان شاء الله).

وذكر ابوسعود عدد البحارة في السفينة الى نحو ثلاثين شخصا، وكان تقريب من خمسة الى ستة اشخاص زيادة في السفينة يسمونهم «اسبير» او «الجلاسة» خوفا من مرض احد البحارة الاساسيين، وقال الرضيف (التورة): كان يستر اسفل الجسم بازارو لا نعرف غيره في السفينة، وحتى في الديرة، للسباحة في البحر، لا نعرف السروال ابدا، وكنا نمارس بالازار بعض الالعاب، وافضل المدراسي من الهند، والنيباري من ساحل الهند والفوفلي المشهور، وكنا نلبس اللون الاسود، واما الاحمر لا يلبس خوفا من سمك الجرجور (القرش) لانه يهجم على اللون الاحمر.

طعام البحارة

واشار التورة بيديه الى بائع التمر في سوق المباركية، حيث التقيته وحاورته وقال: عرفناه اكثر من خمسة آلاف سنة، نقوم في الصباح عليه والغداء عليه والعشاء عليه، التمر والتمر وبس مادة اساسية في حياتنا، يقولون اكل اهل البحر، والمشكلة حتى في البر وبيوتنا، نقول للنوخذة: ماكو غيره! اجابنا: تغذية للبدن، يقوي الكبد، ملين، يشبع، ما يعطش. ناكله على الريق، ابونا يقول لنا: يقتل الدود، ويوقف الاسهال ويلزق الجروح.

وقال: في السفينة يقدمون لنا الارز والتمر والشاي والتمر، وفي وسط النهار يعطون التمر والقهوة، والسيب بيده روح الغواص أيضاً يقدمون له التمر، المحمر أيضاً مع التمر، وأكلنا من أول السفر إلى آخره من أراد الأنواع، وحتى إذا مرضت يعالجونك بالتمر والحلول وصمغه ريح، وعلج البان، وآخر العلاج «الكي بالنار».

وإذا لم تشف يرسلونك إلى بلدك ويسمونك (عبري) أي عابر سبيل مثل ركاب السيارة، تحملنا المتاعب والمخاطر، والماء الحار فيه الصراصير وحتى التمر عليه الحشرات، وأحياناً بداخله الديدان وتحملنا الضيق أثناء النوم، والفراش الخشن (جودري) وأنا نمت على المحار اليابس الخشن والرائحة الكريهة.

واستطرد بألم وشدة قائلاً: أيامنا كانت متعبة مرهقة ١٤ ساعة في اليوم، مع الامراض والعلل، وهي أيام تعيسة كانت حتى شراعنا يتقطع كنا نسير بواسطة المجاديف مسافة طويلة، تعبنا وحففنا بالمخاطر والأسماك المتوحشة، والزيادة على هذه المصائب تاتينا واحدة بعد أخرى فهذه أم زليقة، والكحة والسعال، وحشوة الصدر من جراء الغوص، والصرع، والطنان، أبوقشاش، والشافة، والروماتيزم، ألم الضرس، أمراض لا تعد ولا تحصى، والله هو الوحيد الشافي.

كنا نستر أسفل جسمنا بالإزار.. والسروال لم نعرفه أبدا

التمر وبس.. حاضر في الصباح والغدا والعشا

أهم المقاهي القديمة

قهوة بوناشي سوق التجار	قهوة اليعود السوق الداخلي	قهوة العوضي شارع الجديد	قهوة الحمارة سوق البشوت
قهو الدهن سوق الدهن	الريس مناخ الإبل	الصومالي سوق الحرس	البرازيلية سوق الداخلي
قهوة بوعباس فرضة الجولان	النوخذا السوق الداخلي	ناصر مسجد النبهان	بن رنان وقهوة سلطان
قهوة ملا عباس مقابل الفرضة	خضير الصفاة	ابن قهيم سامة الصرافين	قهوة حاجي غرب الأمن العام
الطواويش سوق البدر	الرقاع سوق الغربللي	بوعاشور وعبدالغفار	قهوة بولند سوق التناكة
ميرزا هادي سوق البشوت	نويدر سوق الحرس	قهوة زمون وعباس الصفاة	قهوة كرم المناخ القديم
مارضا بوعلي قرب الفرضة	جويدر سوق التناكه	بن عقاب سوق الغربللي	ابن حيدر سوق التناكة
			عيسى البلوشي